جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: إعلان الثورة العباسية

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

تعمقت الدعوة العباسية في نفوس الأتباع، وتطلع الناس لها، وانتشرت فكرتها، وعلقوا الآمال عليها. فهي دعوة آل البيت وسوف تخلصهم من الدولة الأموية، وتعيد لهم عزهم وسلطانهم، فتمسكوا بها وناصروها، فعمت المدن والأقاليم. وفي خضم هذه الفترة الحرجة التي هي قمة نشاط الدعوة السرية مات صاحبها ومنظمها محمد بن علي العباسي في الحميمة سنة ١٢٥ هـ، وأوصى لابنه إبراهيم ليتولى أمر الدعوة والذي تسمى فيما بعد بإبراهيم الإمام، وكان أرفع إخوته مكاناً وأعلاهم شأناً، وكان تقياً ورعاً، وحكيماً عليماً، وحازماً صارماً، وله عناية بالحديث ومعرفة بالبلاغة ورواية الشعر.

كما توفي بكير بن ماهان كبير الدعاة بالكوفة الذي أغدق على الدعوة بماله الكثير، ويقال أنه أنفق أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب. ثم خلفه صهره أبو سلمة الخلال بناء على وصية من بكير يستأذن فيها إبراهيم الإمام أن تكون قيادة الدعوة للخلال بعد موته، فكتب ابراهيم الى أبي سلمة بالقيام بأمر الدعوة وأمر أتباعه بخراسان بالسمع والطاعة له.

والخلال هذا هو أبو سلمة حفص بن سليمان كان مولى لبني الحارث بن كعب ومن أثرياء أهل الكوفة وكان أديبا ممتعا في حديثه على دراية بأمور السياسة. وكان من أوائل الدعاة الذين لهم شأن كبير في دسائس العباسيين في سقوط الخلافة الأموية ومن الدعاة النشطاء فهو الذي أخرج الدعوة من دورها السري الى حالتها العلنية و نظرا لدوره البارز ونشاطه فقد لقب بوزير آل محمد قبل أن تقوم الخلافة العباسية.

وبعد أن استحكمت الخطة الموضوعة قرر ابراهيم الإمام بدء المرحلة الثانية من الدعوة العباسية، وهي المرحلة العلنية والعمل الحربي، فعرض قيادة الجيوش على سليمان بن كثير الخزاعي رئيس دعاة خراسان فاعتذر ثم عرضها على ابراهيم بن سلمة فاعتذر أيضا، وأخيرا استقر رأيه على أبي مسلم الخراساني بتولي ذلك المنصب الخطير في قيادة الجيوش العباسية تمهيدا لإعلان الثورة المسلحة.

عندما أيقن العباسيون أن مروان بن محمد أنهك جنده واستهلك طاقتهم، وان نصر بن سيار أصبح عاجزا عن محاربة أتباعهم وإبادتهم، وإن القبائل بخراسان تعاقدت على مقاتلتهم اغتنموا الفرصة فأذنوا لأبي مسلم أن يظهر دعوتهم وأمروه أن يفجر الثورة.

والحديث عن إعلان الثورة يسوقنا للتعرف على شخصية مهمة كانت بجانب إبراهيم الإمام والتي قامت بأهم أدوار هذا العمل الحربي بعد ذلك في تكوين الدولة العباسية والقضاء على معارضيها في أول الأمر، تلك هي شخصية أبي مسلم الخراساني.

فهو شخصية يكتنفها الغموض واعتبر أسطورة نسجت حولها الروايات العديدة. وقد بولغ في دوره أثناء الثورة وبعدها، وأظهرته بعض الروايات بمظهر المحرك الرئيسي للسياسة العباسية في السنوات الأولى، ومما زاد في غموض الأمر عدم تصريح أبي مسلم نفسه عن أصله، فنسبه إذن مختلف فيه عند الكثير من المؤرخين القدامى والمعاصرين.

وقد أشارت تلك المصادر انه كان عبدا تنقل في الرق ثم اعتق. وقيل انه حر ولد بأصبهان ونشا في الكوفة ثم اشتراه إبراهيم الإمام من مولاه لما رأى فيه من الذكاء فعمل على تثقيفها. وقيل انه كان قهرمان لإدريس ابن ابراهيم العجلي من قرية يقال لها خرطينة وهي من قرى الكوفة، وشاءت به الأقدار أن يتصل بمحمد بن علي العباسي ثم بابنه ابراهيم بن محمد الإمام الذي بعثه الى خراسان وأمر أهل الدعوة بطاعته والانصياع لأوامره فقوي أمره وذاع صيته.

وكان إبراهيم الإمام يقول عنه: (إني جربت هذا الأصبهاني وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حجر الأرض). ومما جاء بكتاب العهد بتوليته أمر الدعوة في خراسان: (أما بعد.. فقد وجهت اليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي فألقوا اليه أزمة أموركم، وحملوه أعباء الورد لها، والصدر في محاربة عدوكم، وعاهدوا الله على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين).

ويبدو من خلال روايات المؤرخين ان سليمان بن كثير الخزاعي كان معارضاً لتعيين أبي مسلم الخراساني وقد عبر عن ذلك بقوله: (صلينا بمكروه هذا الأمر، استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، حتى قطعت في الأيادي والأرجل، وبريت الألسن حزا بالشفار، وسملت الأعين، وابتلينا بأنواع المثلات، وكان الضرب الحبس في السجون من أيسر ما نزل بنا. فلما تنسمنا روح الحياة وانفسحت بصارنا، وأينعت ثمار غراسنا، طرأ علينا هذا المجهول الذي لا يدرى أية بيضة عن رأسه، ولا من أي عش درج، والله لقد عرفت الدعوة من قبل أن يخلق هذا في بطن أمه).

ويبدو ان مخاوف سليمان بن كثير ناجمة عن صغر سن أبي مسلم الخراساني اذ لم يتجاوز عمره آنذاك إحدى وعشرين سنة. ويروي بعض المؤرخين ان بعضا من النقباء استخفوا به

وعارضوه ورفضوه. ولكن ما أن استقر أبو مسلم في خراسان حتى أظهر من ثبات الرأي، وحسن التنظيم، والمقدرة على انتهاز في يوم واحد أهل ستين قرية.

ثم أخذ أبو مسلم يستميل القبائل اليمنية مستغلا الخصومات القبلية والانشقاقات الموجودة في ذلك العهد، وكان من أشد منافسي نصر بن سيار هو جديع الكرماني. وكان نصر والكرماني قبل ذلك متصافيين، إلا أن الفتنة الناشئة عن حمية الجاهلية فرقت بينها. وكانت النزارية أيضا منشقة، فربيعة في جانب ومضر في جانب. وكان أكثر ربيعة مع شيبان بن مسلمة الحروري الخارج على الدولة يطلب العمل بكتاب الله وسنة رسوله فكانت هذه الفرق الثلاثة متعادية.

فسعى أبو مسلم لتعزيز هذا الانشقاق، ويبدو أن نصر بن سيار قد شك في نواياه. ففي عهده حدثت الفتنة بين النزارية واليمانية. وكان رئيس النزارية وكبيرهم نصر بن سيار، وكبير اليمانية جديع بن شبيب المعروف بالكرماني، الذي انتبه لمخطط أبي مسلم فحاول أن يجمع كلمة العرب الموالين لبني أمية، كما حاول تسوية الخلاف مع اليمنية محذرا من العاقبة الوخيمة التي ستحل بهم ان لم يتكاتفوا بوجه هذا العدو، والذي وصفه بالأبيات التالية:

مـــا بـــالكم تلحقـــون الحـــرب بيـــنكم كـــان أهـــل الحجـــا عـــن فعلكـــم غيـــب
وتتركـــــون عـــــدوا قـــــد أظلكـــــم ممـــــن تأشـــــب لا ديـــــن ولا حســـــب
قومـــا يـــدينون دينـــا مـــا ســـمعت بـــه عـــن الرســـول ولـــم تنـــزل بـــه الكتـــب
مـــن كـــان يســـألني عـــن أصـــل ديـــنهم فـــــان ديـــــنهم أن تهلـــــك العـــــرب

ولكن دسائس أبي مسلم كانت أعظم من جهود نصر التي باءت بالفشل، فرفض اليمنية الصلح واشترط زعيمهم الكرماني عزل نصر عن ولاية خراسان وهذا بالتأكيد غير ممكن. وبدأ أبو مسلم بإشعال النيران على قمم الجبال تمهيدا لإطلاق شرارة الثورة ضد الأمويين.

كانت أخبار خراسان تصل الى إبراهيم الإمام. والذي قدر بدوره أنه حان الوقت للجهر وإعلان الثورة. لذا كتب الى أبي مسلم يأمره بإظهار الدعوة وأرسل اليه الراية واللواء. وكان ابراهيم قد أمرهم قبل ذلك بلبس السواد وقال: (عليكم بالسواد فليكن لباسكم، وليكن شعاركم يا محمد يا منصور). وما إن تناهت تلك الأوامر الى أبي مسلم حتى تجهز ونزل سيفندج من قرى مرو ليبث دعوته في الناس وأمرهم أن يجتمعوا اليه وقال لهم: (ان عارضكم معارض فقد حل

لكم الآن أن تدافعوا عن أنفسكم، وأن تظهروا السيوف وتجردوها من أغمادها، وتجاهدوا أعداء الله تعالى).

لاقت الدعوة للرضا من آل محمد آذانا صاغية عند سكان خراسان، ولا سيما الموالي الذين عانوا الأمرين من سياسة وجور عمال بني أمية، لذلك سارعوا بالانضمام الى جانب أبي مسلم الخراساني الذي وقف أمامهم وتلى عليهم قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)

وعلى أثر ذلك بعث أبو مسلم الخراساني كتابا الى نصر بن سيار جاء فيه: أما بعد.. فإن الله تعالى عيّر قوما فقال: (وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا* ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلً)

فلما وصل الكتاب الى نصر بن يسار تحير بأمره وعلم انه لا يملك القوة الكافية لمواجهة أبي مسلم الخراساني نظرا لكثرة من معه ومن تبعه، ورأى جوب طلب المدد والمساعدة من جند الشام. فكتب الى الخليفة مروان بن محمد يستنجده يعلمه حال خراسان، وكانت له ملكة شعرية، فكتب له أبياتا صور له سوء الأمر بخراسان، وخوفه انهيار دولة بني أمية وزوال سلطانه، وحثه أن يسارع بالقضاء على أتباع بني العباس فقال:

أرى بين الرماد وميض جمر فيوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام

فإن لم تطفئوها تجن حربا مشمرة يشيب لها الغلام

فإن يقظت فذا بقاء ملك وان رقدت فإني لا ألام

فكتب اليه مروان: (الشاهد يرى ما لايرى الغائب، فاحسم الثؤلول قبلك). فقال نصر لما قرأ الكتاب: (أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده)

ويمكن أن نحدد سببين لعدم تقديم الخليفة الأموي المساعدة الى عامله نصر بن سيار وهما: انشغاله بقتال الخوارج الذين شكلوا تهديدا حقيقيا للخلافة الأموية، والثاني: انه لم يطلع على حقيقة الموقف في خراسان وضن أن ما يجري فيها لا يعدو أن يكون تمردا لا يخرج عن نطاق السيطرة. عند ذلك لم يكن أمام نصر بن سيار إلا أن يستنجد بنائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فكتب اليه:

أبلـــغ يزيـــد وخيـــر القـــول أصـــدقه وقـــد تحققـــت أن لاخيـــر فـــي الكـــذب
بـــــأن أرض خراســـــان رأيـــــت بهـــــا بيضـــــا اذا أفرخـــــت حـــــدثت بالعجـــــب
فـــــراخ عـــــامين إلا أنهـــــا كبـــــرت لمـــــا بطـــــرن وقـــــد ســـــربلن بالزغـــــب
فـــان يطـــرن ولـــم يحتـــل لهـــن بهـــا يلهـــبن نيـــران حـــرب أيمـــا لهـــب

لكن نداءات نصر بن سيار ذهبت أدراج الرياح لأن الوضع العام في خراسان كان ضده، فقد تمكن أبو مسلم من استقطاب الثائرين وانضمامهم لصف الثورة العباسية. وقد أعلن أبو مسلم ثورته بعد أن جهز لها من القوة والعتاد ما يلزم، فأنقض على خراسان عقب قضاء نصر بن سيار على الكرماني. فعمل أبو مسلم على تحريض أبناء الكرماني علي وعثمان للثأر بمقتل أبيهم من نصر.

وكان نصر في هذه الأثناء يعاني من الفتن والاضطرابات ومن خروج شيبان الحروري على السلطة الأموية، فبعث نصر إليه في طلب الصلح ليفرغ لقتال أبي علي بن الكرماني ومنع شيبان من الانضمام إلى نصر أو مصالحته ومهادنته. وهكذا ترك نصر وحيدا وسط المعمعة، فاشتبكت قوات علي الكرماني مع قوات نصر المفككة معنويا في قتال عنف.